



— 1 —

لم أكن قد تجاوزت الثانية عشرة من عمري

وكانت هي أصغر مني بسنة واحدة

وعلى الفور وجدتني أنجذب إليها

وأفكر فيها

وأسعى لصداقة إخوتها

وطوال النهار كانت تملأ الدنيا من حولي

لنا أنظر إلى شئ جميل

إلا وأرى وجهها فيه

ولما أغضو للحظة في الليل

إلما وأشاهدها في أحلامى

وحين ألتقى بها في الصباح

لما أستطيع أن أصدارحها

بما أشعر به نحوها

لكنها — فى ما يبدو — كانت تدرك ذلك

وتختصنى بشئ من الهدايا

التي لم تكن فى الواقع

سوى بعض الحلوى

وبعض القصص والمجلات

التي كنت ألتهمها إلتهاما

وأقرأ كل سطر فيها

وعندما أقوم بردها إليها

كانت أصابعنا الصغيرة

تتلاقى .. وتتلامس

حينها نحس أن لمسة كهرياء

قد أرهشت قلبينا

فتطرق هي في حياء

يحمر لها وجهها كله

وتسرع إلى منزلها

أما أنا فأنتطلق إلى باحات الحى

صارخا .. ومغردا !

فى التاسعة عشرة

كنت قد حصلت على الثانوية

والتحقت بالجامعة

ويومها ظننت أننى سأمتلك العالم

وبالتالى يسهل الحصول عليها

لكن المأساة التى فاجأتنى

أن نضج الفتاة يسبق نضج الشاب

وقد تابعت كثرة الخطّاب الذين تقدموا إليها

بعضهم ثرى ، أو ذو حيثة ..

أو من عائلة كبيرة جدا

فماذا أفعل حيال ذلك ؟

انطويت على نفسي

ودخلت في حالة احباط شديد

ولم نعد نتلاقى كما كانت عادتنا

واكتفيت بأن أراها من بعيد

كما حرصت على ألا ترائى ..

وكنت أتلمس أخبارها من إخوتها

وبعضهم كان يدرك ما بيننا

لكنه لم يكن يستطيع أن يفعل شيئا

وماذا يفعل ؟

وقد توالى الأحداث المصاعقة :

قراءة المفاتحة ، ثم الشبكة ،

ثم كتب الكتاب ، ثم الفرع ،

فالسفر إلى مدينة أخرى ..

كدت أرسب في السنة الأولى من الجامعة

لكن دفعة من المحظ

ساعدتني على النهوض والمثابرة

ومع ذلك ظل خنجر الحب الأول

غائرا في صدري

طوال سنوات الجامعة !

— 3 —

حانت لحظة التخرج

وكانت الوظيفة أفضل بكثير مما تصورت

مركز محترم ، بمرتب معقول

وبدأت التعرف على فتيات أخريات

وكان من المتوقع أن أفتح مع أحدهن

صفحة جديدة

لكن المحزن العميق بداخلي

كان يبعدني عن ذلك

ولاحظ بعض الأصدقاء المقربين

أن كل فتاة عرفتها

كانت تشبهها في شئ

وحين استعرضت أحوالهن

وجدت أن ملاحظتهم صحيحة !

**

مرت أعوام .. وأنا شبه ضائع فى محيط الحياة

وكان لدى إحساس خفى بأننى سألتقى بها ذات يوم

وأنها ستكون قد انفصلت عن زوجها

حينئذ أسارع فأطلب منها الزواج

لنبدأ معا حياتنا من جديد ..

**

لكن الذى حدث كان مختلفا تماما

فقد دعانى أحد اخوتها لأحضر حفل زفاف ابنته

وجدتها فرصة رائعة لرؤيتها فى الحفل

وبالفعل تلاقينا ..

كان حولها ثلاثة أبناء

ولد وبناتان

وعندما ٭ تحدثنا قليلا

لم أجدها تعاتبني على ما حدث في الماضي

لكنها راحت تشكو

من بعض أمراض الضغط والسكر والروماتيزم ..

ثم جاء الزوج ، فقدمتني إليه قائلة :

— فلان .. صديق اخوتي من أيام الطفولة !

ملحمة الحب الأول

معزوفة نثرية

للدكتور حامد طاهر

— 1 —

لم أكن قد تجاوزت الثانية عشرة من عمري

وكانت هي أصغر مني بسنة واحدة

وعلى الفور وجدتني أنجذب إليها

وأفكر فيها

وأسعى لصداقة إخوتها

وطوال النهار كانت تملأ الدنيا من حولي

لنا أنظر إلى شئ جميل

إلما أرى وجهها فيه

ولما أغضو للحظة في الليل

إلما وأشاهدها فى أحلامى

وحين ألتقى بها فى الصباح

لما أستطيع أن أصدارحها

بما أشعر به نحوها

لكنها — فى ما يبدو — كانت تدرك ذلك

وتختصنى بشئ من الهدايا

التي لم تكن فى الواقع

سوى بعض الحلوى

وبعض القصص والمجلات

التي كنت ألتهمها إلتهاما

وأقرأ كل سطر فيها

وعندما أقوم بردها إليها

كانت أصابعنا الصغيرة

تتلاقى .. وتتلامس

حينها نحس أن لمسة كهرياء

قد أرهشت قلبينا

فتطرق هي في حياء

يحمر لها وجهها كله

وتسرع إلى منزلها

أما أنا فأنتطلق إلى باحات الحى

صارخا .. ومغردا !

فى التاسعة عشرة

كنت قد حصلت على الثانوية

والتحقت بالجامعة

ويومها ظننت أننى سأمتلك العالم

وبالتالى يسهل الحصول عليها

لكن المأساة التى فاجأتنى

أن نضج الفتاة يسبق نضج الشاب

وقد تابعت كثرة الخطّاب الذين تقدموا إليها

بعضهم ثرى ، أو ذو حيثية ..

أو من عائلة كبيرة جدا

فماذا أفعل حيال ذلك ؟

انطويت على نفسى

ودخلت فى حالة احباط شديد

ولم نعد نتلاقى كما كانت عادتنا

واكتفيت بأن أراها من بعيد

كما حرصت على ألا ترانى ..

وكنت أتلمس أخبارها من إخوتها

وبعضهم كان يدرك ما بيننا

لكنه لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً

وماذا يفعل ؟

وقد توالى الأحداث المصاعقة :

قراءة المفاتحة ، ثم الشبكة ،

ثم كتب الكتاب ، ثم الفرع ،

فالمسفر إلى مدينة أخرى ..

كدت أرسب في السنة الأولى من الجامعة

لكن دفعة من المحظ

ساعدتني على النهوض والمثابرة

ومع ذلك ظل خنجر الحب الأول

غائرا في صدري

طوال سنوات الجامعة !

— 3 —

حانت لحظة التخرج

وكانت الوظيفة أفضل بكثير مما تصورت

مركز محترم ، بمرتب معقول

وبدأت التعرف على فتيات أخريات

وكان من المتوقع أن أفتح مع أحدهن

صفحة جديدة

لكن الحزن العميق بداخلي

كان يبعدني عن ذلك

ولاحظ بعض الأصدقاء المقربين

أن كل فتاة عرفتها

كانت تشبهها في شئ

وحين استعرضت أحوالهن

وجدت أن ملاحظتهم صحيحة !

**

مرت أعوام .. وأنا شبه ضائع فى محيط الحياة

وكان لدى إحساس خفى بأننى سألتقى بها ذات يوم

وأنها ستكون قد انفصلت عن زوجها

حينئذ أسارع فأطلب منها الزواج

لنبداً معا حياتنا من جديد ..

**

لكن الذى حدث كان مختلفا تماما

فقد دعانى أحد اخوتها لأحضر حفل زفاف ابنته

وجدتها فرصة رائعة لرؤيتها فى الحفل

وبالفعل تلاقينا ..

كان حولها ثلاثة أبناء

ولد وبناتان

وعندما تحدثنا قليلا

لم أجدها تعاتبني على ما حدث في الماضي

لكنها راحت تشكو

من بعض أمراض الضغط والسكر والروماتيزم ..

ثم جاء الزوج ، فقدمتني إليه قائلة :

— فلان .. صديق اخوتي من أيام الطفولة !
